

الخطاب الإمامي في شعر مهند جمال الدين: دراسة نحوية دلالية في قصيدة "ضوء علي" أنموذجاً

أ. م. د. محمد رضا خضري

sr.khezri@gmail.com

أ. م. د. طيبة شعبان سيفي

t_seyfi@sbu.ac.ir

جامعة شهيد بهشتي / طهران

م. م شيماء سالم كاظم

مديرية تربية ذي قار

albhranyshma@gmail.com

الملخص

يسعى هذا البحث إلى استكشاف ملامح الخطاب الإمامي في شعر مهند جمال الدين، من خلال تحليل نحوي دلالي تطبيقي لقصيدته "ضوء علي"، التي تمثل نموذجاً شعرياً مكثفاً تتجلى فيه صورة الإمام علي (عليه السلام) بوصفه محوراً عقدياً ومعرفياً ووجودياً. تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: كيف تتكامل البنية النحوية مع الدلالة العقدية في تشكيل خطاب إمامي شعري معاصر؟ وما طبيعة العلاقة بين التراكيب اللغوية (من تقديم وتأخير، وحذف، وإنشاء، وتكثيف اسمي) وبين الوظيفة الدلالية التي تنهض بإبراز مفهوم الإمامة بوصفه امتداداً للنبوة؟

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج الأسلوبي، للكشف عن البنية العميقة للنص، وتفكيك أنساقه التركيبية والدلالية. وقد توصل إلى أن الشاعر يوظف البنية النحوية توظيفاً مقصوداً لتكريس مركزية الإمام علي (عليه السلام)، من خلال تكثيف الجملة الاسمية، وتفعيل أساليب الإنشاء، وتوسيع دلالات الإضافة، واستثمار الحذف والتقديم بوصفهما آليتين لإنتاج المعنى. كما أظهرت الدراسة أن الخطاب الإمامي في القصيدة لا يقوم على التقرير المباشر، بل يتشكل عبر شبكة من الرموز (النور، الغدير، الطريق، العدل) التي تتداخل مع البنية النحوية لتنتج خطاباً دلالياً مركباً يجمع بين العقيدة والجمال.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الإمامي، مهند جمال الدين، الإمام علي، التحليل النحوي، الدلالة الشعرية، الغدير.

Abstract

This study investigates the features of Imamic discourse in the poetry of Muhannad Jamal Al-Din through a syntactic-semantic analysis of his poem "Daw'un 'Alīyyun". The poem represents a dense poetic model in which Imam Ali (peace be upon him) is portrayed as a central theological and existential symbol. The study raises a central question: how does syntactic structure interact with doctrinal meaning in shaping a contemporary Imamic poetic discourse?

The research adopts a descriptive-analytical approach, supported by stylistic analysis, to uncover the deep structure of the text and examine the interplay between syntax and meaning. The findings reveal that the poet deliberately employs syntactic structures—such as nominal sentences, ellipsis, foregrounding, and rhetorical constructions—to reinforce the

centrality of Imam Ali. The Imamic discourse emerges not through direct assertion but through symbolic networks (light, Ghadir, path, justice) that interact with syntactic formations to produce a rich, layered meaning

.Keywords: Imamic discourse, Muhannad Jamal Al-Din, Imam Ali, syntax, semantics, Ghadir

المقدمة

يمثل الخطاب الإمامي أحد أبرز الأنساق التعبيرية في الشعر العربي المعاصر، ولا سيما في البيئات الثقافية التي تنكئ على الذاكرة الدينية والتاريخية بوصفها مرجعاً هوياتياً ومعرفياً. ويغدو هذا الخطاب، في كثير من تجلياته، وسيلة لإعادة إنتاج المفاهيم العقديّة ضمن صيغ جمالية تتجاوز المباشرة، وتستثمر طاقات اللغة في التعبير الرمزي والإيحائي. ومن هنا، فإن دراسة هذا الخطاب لا تكتمل إلا عبر مقارنة مزدوجة تستحضر البنية النحوية بوصفها أداة تشكيل، والدلالة بوصفها غاية تعبيرية.

ويأتي شعر مهند جمال الدين بوصفه نموذجاً معاصراً لهذا التوجه، إذ تتكثف فيه الرؤية الإمامية ضمن بناء لغوي محكم، تتداخل فيه مستويات التركيب مع أبعاد المعنى، بحيث لا يمكن فصل النحو عن الدلالة، ولا الشكل عن المضمون. وتعد قصيدة "ضوء علي" من النصوص التي تمثل ذروة هذا التداخل، إذ تقوم على استحضار شخصية الإمام علي (عليه السلام) بوصفها مركز إشعاع دلالي، يتجاوز التاريخ إلى الحضور المستمر في الوعي الجمعي.

وتنبثق إشكالية البحث من محاولة الكشف عن الكيفية التي يوظف بها الشاعر الأدوات النحوية في خدمة هذا الخطاب، أي: كيف تتحول التراكيب اللغوية إلى وسائط دلالية تعكس التصور الإمامي؟ وكيف يسهم التقديم والتأخير، والحذف، وأنماط الجملة، في بناء صورة الإمام بوصفه نوراً وهداية وامتداداً للنبوّة؟

وتكمن أهمية البحث في كونه يجمع بين التحليل النحوي والدلالي في مقارنة نص شعري معاصر ذي حمولة عقديّة، بما يسهم في إثراء الدراسات الأسلوبية التي تتناول الخطاب الديني في الشعر الحديث، ويكشف عن آليات اشتغال اللغة في إنتاج المعنى الإمامي.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مع الإفادة من المنهج الأسلوبي، للكشف عن البنية العميقة للنص، وتحليل الظواهر النحوية بوصفها حوامل دلالية، وليس مجرد أدوات شكلية.

تمهيد: مفهوم الخطاب الإمامي في الشعر المعاصر

لا يمكن فهم الخطاب الإمامي في الشعر العربي الحديث بمعزل عن جذوره التراثية التي تمتد إلى المدائح العلوية والشعر العقائدي في العصور الإسلامية الأولى، حيث شكّلت شخصية الإمام علي (عليه السلام) محوراً دلاليّاً غنيّاً، ارتبط بمفاهيم العدل، والشجاعة، والعلم، والولاية. غير أن هذا الخطاب شهد في العصر الحديث تحوُّلاً نوعيّاً، تمثل في انتقاله من الطابع التقريري إلى البنية الرمزية، ومن الخطاب المباشر إلى التشكيل الجمالي المركّب (ضيف، 1987، ص212).

وفي هذا السياق، لم يعد الإمام علي مجرد شخصية تاريخية، بل أصبح علامة دلالية مفتوحة، تتجسد عبر رموز مثل النور، والطريق، والميزان، والغدير، وهي رموز تستدعي شبكة من المعاني المرتبطة بالهداية والاستمرار والشرعية (ابن خلدون، 2004، ص191).

ويُعدّ الغدير، على وجه الخصوص، من أبرز المرتكزات الدلالية في هذا الخطاب، إذ يمثل لحظة تأسيسية في الوعي الإمامي، تُستعاد شعرياً بوصفها حدثاً متجدّداً، لا ينحصر في الزمن التاريخي، بل يمتد إلى الحاضر بوصفه معياراً للحق والولاية.

مدخل نظري: العلاقة بين البنية النحوية والدلالة

لم يعد النحو في الدراسات الحديثة مجرد علم لضبط أواخر الكلمات، بل أصبح يُنظر إليه بوصفه نظامًا دلاليًا يشارك في إنتاج المعنى، إذ إن اختيار الجملة الاسمية أو الفعلية، وتقديم عنصر على آخر، أو حذف جزء من التركيب، كلها قرارات لغوية ذات أبعاد دلالية (تمام حسان، 2000، ص 97).

فالجملة الاسمية، مثلاً، توحى بالثبات والاستمرار، في حين تدل الجملة الفعلية على الحدوث والتجدد. كما أن التقديم والتأخير لا يُفهمان بوصفهما ظاهرتين شكليتين، بل بوصفهما وسيلتين لتوجيه الانتباه وإبراز المعنى (ابن جني، د.ت، ج 1، ص 45).

أما الحذف، فيمثل آلية تكثيف دلالي، إذ يترك فراغًا يملؤه المتلقي، مما يعمق الأثر الإيحائي للنص. وكذلك الحال في أساليب الإنشاء (كالنداء والاستفهام)، التي لا تؤدي وظيفة تواصلية فحسب، بل تحمل شحنات انفعالية ودلالية تتجاوز ظاهر التركيب.

وانطلاقاً من هذا التصور، فإن تحليل الخطاب الإمامي في قصيدة "ضوء علي" يقتضي النظر إلى البنية النحوية بوصفها أداة لإنتاج الدلالة، لا مجرد إطار شكلي.

التحليل النحوي الدلالي لقصيدة "ضوء علي"

أولاً: البنية الافتتاحية وتكثيف الدلالة عبر الجملة الاسمية

ضوء علي في الغدير يُخَلَّدُ
والنُبُع يجري في يديه محمَّدُ

يبدأ الشاعر قصيدته بجملة اسمية: "ضوء علي"، وهي بنية نحوية تحمل دلالة الثبوت والاستمرار، إذ إن الجملة الاسمية في العربية تفيد الرسوخ والدوام، بخلاف الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد (تمام حسان، 2000، ص 97). ومن ثم، فإن اختيار هذا النمط التركيبي لا يأتي اعتباطاً، بل يعكس قصيدة دلالية تتمثل في تثبيت صفة "النور" للإمام علي (عليه السلام) بوصفها حقيقة مطلقة غير قابلة للزوال.

ومن الناحية النحوية، يمكن النظر إلى التركيب على أنه مبتدأ وخبر، مع احتمال تقدير مضاف محذوف (كأن التقدير: "هو ضوء علي")، أو اعتبار "علي" بدلاً أو عطف بيان، وهو ما يفتح المجال لتعدد الدلالات الناتجة عن الانزياح التركيبي (ابن جني، د.ت، ج 2، ص 134). ويُعدّ هذا الحذف من أبرز آليات التكثيف، إذ يترك فراغاً تأويلياً يملؤه المتلقي، فيتحوّل التركيب إلى بؤرة دلالية مفتوحة.

أما شبه الجملة "في الغدير"، فقد جاء متأخراً عن الخبر، وكان يمكن تقديمه (في الغدير ضوء علي)، غير أن الشاعر اختار تأخيرها لإبقاء مركز الثقل الدلالي في "ضوء علي"، ثم إلحاقه بالإطار الزماني-المكاني "الغدير"، مما يحقق ما يسميه البلاغيون "تأخير ما حقه التقديم لغرض معنوي" (السكاكي، د.ت، ص 112). وهنا يتمثل الغرض في تثبيت الرمز (علي/النور) قبل ربطه بالحدث (الغدير).

أما الفعل "يُخَلَّدُ" فجاء بصيغة المضارع، الدالة على الاستمرار والتجدد، مما يوحي بأن حادثة الغدير ليست واقعة منتهية، بل حدث متجدد في الوعي والوجود. وهذا التداخل بين الجملة الاسمية (الثبات) والفعل المضارع (التجدد) ينتج بنية دلالية مركبة تجمع بين الأزلية والاستمرارية.

وفي الشطر الثاني: "والنُبُع يجري في يديه محمَّدُ"، نلاحظ انتقالاً إلى الجملة الفعلية، حيث الفعل "يجري" يدل على الحركة والانسياب، وهو ما يقابل دلالة "الضوء" في الشطر الأول. ومن الناحية النحوية، فإن تأخير الفاعل "محمَّد" بعد شبه الجملة "في يديه" يمثل تقديمًا لما حقه التأخير، وهو أسلوب يفيد التخصيص والاهتمام (ابن هشام، 1998، ص 56).

وهذا التقديم يحقق دلالة مهمة، إذ يجعل التركيز على “اليدين” بوصفهما موضع الفعل (النبع)، بما يحيل إلى الوساطة النبوية في إظهار الولاية، أي أن النبع (الهداية) يجري عبر النبي ليصل إلى علي، في تكامل دلالي بين النبوة والإمامة.

وبذلك، فإن البنية النحوية في هذا المطلع تؤسس منذ البداية خطاباً إمامياً قائماً على:

- الثبوت (ضوء علي)
- التجدد (يخلد، يجري)
- الترابط (محمد ← علي ← الغدير)

وهو ترابط لا يتحقق إلا عبر هذا النسق التركيبي الدقيق.

ثانياً: الامتداد الدلالي وتكثيف الفاعلية عبر التراكم الفعلي

**ورؤى النبوة في انطلاق وجودها
تمتد في كل الضفاف لها يد**

تبدأ هذه الثنائية الاسمية-الفاعلية بتركيب إضافي: “رؤى النبوة”، وهو تركيب يفيد التخصيص، إذ إن الإضافة هنا ليست مجرد علاقة نحوية، بل تحمل دلالة انتماء المفهوم (الرؤى) إلى مصدره الأعلى (النبوة)، مما يعزز البعد العقدي للنص (ابن فارس، دبت، ص61).

وقد جاء شبه الجملة “في انطلاق وجودها” متعلقاً بالفعل “تمتد”، وهو ما يحدد الإطار الدلالي للحركة، إذ إن الامتداد هنا ليس مكانياً فحسب، بل وجودي، مما يفتح الدلالة على بعد كوني شامل.

أما الفعل “تمتد” فقد جاء بصيغة المضارع، وهو ما ينسجم مع السياق العام للقصيدة في إبراز الاستمرارية. غير أن اللافت نحويًا هو الجملة الثانية: “لها يد”، التي جاءت جملة اسمية مستقلة، يمكن اعتبارها حالاً أو استثناءً بيانياً.

ومن الناحية النحوية، فإن تقديم شبه الجملة “لها” على المبتدأ “يد” يفيد الاختصاص، أي أن هذه اليد (الفاعلية) خاصة برؤى النبوة دون غيرها، وهو ما يعزز دلالة الامتداد بوصفه فعلاً موجّهاً ومقصوداً، لا عشوائياً (ابن يعيش، دبت، ج3، ص22).

كما أن التكرار في “يد” يحمل دلالة التعظيم أو التهويل، أي يدٌ عظيمة الفعل والتأثير، وهو ما يتناسب مع السياق الذي يربط بين النبوة والإمامة بوصفهما قوتين فاعلتين في التاريخ والوجود.

ثالثاً: البنية الشرطية الضمنية واستجابة الإمامة للأزمات

**ليضوعَ عطرٍ في الإمامة كلما
ضاق الزمانُ ولحَّ ليلٌ سرمدٌ**

يدخل الشاعر هنا إلى مستوى تركيبى أكثر تعقيداً، حيث يستخدم لام التعليل في “ليضوع”، وهي لام تفيد الغاية، مما يدل على أن ما سبق من امتداد النبوة إنما غايته إظهار “العطر” في الإمامة.

ومن الناحية النحوية، فإن الفعل المضارع المنصوب بـ “لام التعليل” يدل على الاستقبال، وهو ما يشير إلى أن وظيفة الإمامة مستمرة ومتجددة في مواجهة الأزمات.

أما الظرف “كلما”، فيمثل أداة شرط غير جازمة، تفيد التكرار، وهو ما يعني أن ضيق الزمان وتكثف الظلام (ليل سرمد) ليسا حالتين طارئتين، بل حالتان متكررتان، تقابلهما استجابة دائمة من الإمامة (ابن هشام، 1998، ص132).

وهنا نلاحظ بنية شرطية ضمنية:

- الشرط: ضيق الزمان + اشتداد الظلام
- الجواب: يوضع عطر الإمامة

وهذا التوازي التركيبي ينتج دلالة عقدية عميقة، مفادها أن الإمامة تمثل الحل المستمر لأزمات التاريخ.

كما أن التنكير في “عطر” يحمل دلالة الإطلاق، أي أن هذا العطر غير محدد، بل شامل لكل معاني الهداية والرحمة.

رابعاً: التوسّع الدلالي عبر التعدية والحذف

وبه الهداية في طويل طريقها
تحنو على حتى الذين تمرّدوا

يتجلى في هذا المقطع انزياح نحوي لافت، إذ يبدأ الشاعر بشبه الجملة “وبه”، مقدّماً على المبتدأ “الهداية”، وهو تقديم يفيد الحصر، أي أن الهداية لا تتحقق إلا به (علي)، وهو ما ينسجم مع البنية الإمامية للنص (الزمخشري، دبت، ج1، ص45).

أما الجملة الفعلية “تحنو على حتى الذين تمرّدوا”، فهي تحمل ظاهرة نحوية تتمثل في حذف متعلق الفعل، إذ إن الفعل “تحنو” يتعدى بـ “على”، لكن السياق يوحي بمفعول محذوف (تحنو على الناس/العباد)، ثم خُصّ منهم “الذين تمرّدوا”.

وهذا الحذف يمثل آلية دلالية، إذ يعمّم الفعل أولاً، ثم يخصصه بأقصى الحالات (التمرد)، مما يعزز فكرة الشمول والرحمة.

كما أن استخدام “حتى” يفيد الغاية، أي أن الحنو يبلغ أقصى مداه ليشمل حتى المتمردين، وهو ما يعكس بعداً أخلاقياً في الخطاب الإمامي

خامساً: بنية الاستدراك والتقويم العقدي عبر الجملة الفعلية المركبة

ليُعدّ من ضلوا الطريق بأنهم
أبناءؤه وهو الملائد الأوحّد

يتجلى في هذا التركيب مستوى أعلى من التعقيد النحوي والدلالي، إذ يبدأ بالفعل المضارع المنصوب “ليُعدّ” بلام التعليل، مما يجعله مرتبطاً سببياً بما قبله، أي أن وظيفة الإمامة لا تقتصر على الهداية، بل تمتد إلى إعادة بناء الإنسان المنحرف.

ومن الناحية النحوية، فإن الفعل “يُعدّ” يتعدى إلى مفعولين:

- الأول: “من ضلوا الطريق”
- الثاني: جملة “بأنهم أبناءؤه”

وهنا تتجلى بنية نحوية ذات بعد دلالي عميق، إذ تتحول الجملة المصدرية (بأنهم أبناءؤه) إلى محتوى إعادة التكوين، أي أن إعادة الضالين لا تتم بالقسر، بل بإعادة تعريفهم هوياتياً بوصفهم “أبناءؤه”، وهي دلالة تنتمي إلى الحقل الرمزي للأبوة الروحية.

أما الجملة الاسمية "وهو الملاذ الأوحـد"، فجاءت استثنائاً بيانياً، لكنها تؤدي وظيفة توكيدية، حيث:

- الضمير "هو" يفيد التخصيص
- "الملاذ" معرفة بـ (أل) → تفيد الحصر
- "الأوحـد" → صفة تفيد التفرد المطلق

وهذا التركيب الاسمي المكثف يعزز دلالة الانفراد بالإمامة بوصفها المرجع النهائي، وهو ما يتوافق مع التصور الإمامي الذي يجعل الإمام امتداداً للنبوة في الهداية (ابن خلدون، 2004، ص191).

سادساً: البنية الشرطية الضمنية وتفعيل الأمل عبر الفعل المضارع

وبأنهم مهما تصحّر قلبهم
سيعيدهم نحو الأمان تهجّد

يتأسس هذا المقطع على تركيب شرطي ضماني، إذ إن أداة الشرط "مهما" تفيد العموم، أي مهما بلغ التصحر القلبي (وهو استعارة دلالية للجفاف الروحي)، فإن النتيجة واحدة: العودة إلى الأمان.

ومن الناحية النحوية:

- "تصحّر" → فعل ماضٍ دال على التحقق
- "سيعيدهم" → فعل مضارع مسبوق بالسين، يفيد الاستقبال المؤكد

وهذا التداخل الزمني (ماضٍ + مستقبل) يخلق دلالة مفادها أن الانحراف واقع، لكن الإصلاح مؤكد، وهو ما يعكس رؤية عقديّة قائمة على الرجاء.

أما الفاعل في "سيعيدهم" فهو "تهجّد"، وهو تأخير لافت، إذ الأصل أن يتقدم الفاعل، لكن الشاعر أخره لإبراز الفعل أولاً، مما ينسجم مع ما يسميه النحاة "تقديم ما فيه العناية" (ابن هشام، 1998، ص56).

كما أن اختيار "تهجّد" فاعلاً يحمل دلالة روحية، إذ تتحول العبادة إلى قوة فاعلة في إعادة الإنسان، وهو توظيف دلالي للنحو.

سابعاً: التوازي التركيبي وبناء النسق الحِماي للإمامة

ويقيهم حرّ الفصول وبردّها
ويظل يحرسهم الى أن يهتدوا

يقوم هذا المقطع على توازٍ تركيبى بين فعلين:

- يقيهم
- يظل يحرسهم

وهذا التوازي يعكس استمرارية الفعل الإمامي في الحماية والرعاية.

نحوياً:

- “يقيهم” → فعل مضارع متعدٍ لمفعولين (هم + حر الفصول)
- “ويظل يحرسهم” → جملة فعلية مركبة، حيث “يظل” فعل ناقص يفيد الاستمرار

وهذا التركيب (ظل + مضارع) من أبرز صيغ الدلالة على الديمومة في العربية (تمام حسان، 2000، ص105).

أما الغاية في “إلى أن يهتدوا”، فهي تركيب غائي يدل على أن الحماية ليست هدفاً في ذاتها، بل وسيلة لتحقيق الهداية، وهو ما يعكس البعد التربوي في الخطاب الإمامي.

ثامناً: التقابل النحوي وبناء ثنائية (المنتمون / غير المنتمين)

أَمَّا الَّذِينَ تَقِيدُوا بِسَنَانِهِ
وَتَمَسَّكُوا بِجَمَالِهِ وَتَوَحَّدُوا
سَتَضِيءُ فِيهِمْ عَزْمَةٌ مِنْ رُوحِهِ
وَتَمِيسُ فِيهِمْ رَحْمَةٌ وَتَوَدَّدُ

هنا يدخل الشاعر في بنية تقسيمية عبر أداة التفصيل “أما”، وهي أداة تفيد الانتقال إلى فئة محددة، مما يمهد لبناء ثنائية دلالية.

نحوياً:

- “تقيدوا، تمسكوا، توحّدوا” → أفعال ماضية متتابعة
- تفيد تحقق الانتماء

ثم يأتي الجواب:

- “ستضيء” → مستقبل مؤكد
- “تميس” → مضارع دال على الحضور

وهذا التدرج الزمني (ماضٍ → مستقبل → حاضر مستمر) يعكس:

- تحقق الانتماء
- ثم أثره المستقبلي
- ثم تجليه المستمر
- كما أن التنكير في:

- “عزمة”
- “رحمة”

يفيد التعظيم، أي أن هذه القيم غير محدودة، وهو ما يعزز البعد الأخلاقي للإمامة.

تاسعاً: المفارقة النحوية وبناء الحرية داخل القيد

ويظل من شدّ الولاء وثاقه

حرّاً وإن قالوا: هواه مقيدٌ

يُعد هذا المقطع من أعمق المقاطع دلاليًا، إذ يقوم على مفارقة تركيبية:

- “شدّ الولاء وثاقه” → تركيب يوحى بالقيد
- “حرّاً” → خبر يفيد الحرية

نحوياً:

- “من” → اسم موصول عام
- “شدّ” → فعل ماضٍ
- “الولاء” → فاعل
- “وثاقه” → مفعول به
- ثم:

- “حرّاً” → حال منصوبة

وهذا التركيب يُنتج مفارقة دلالية:

الارتباط بالإمامة (قيد ظاهري) = حرية حقيقية

أما جملة “وإن قالوا” فهي شرطية، لكنها لا تؤثر في النتيجة، بل تعكس موقفاً خارجياً، وهو ما يعزز ثبات المعنى.

عاشراً: البنية الاستشهادية واستدعاء النص الديني داخل التركيب الشعري

(من كنت مولاهُ) فهذا حيدرٌ

مولى لكلّ السائرين وسيّدٌ

يمثل هذا المقطع ذروة الخطاب الإمامي في القصيدة، حيث يستدعي الشاعر نصّاً حديثاً معروفاً، ويعيد إدماجه داخل البنية الشعرية.

نحوياً:

- “من” → اسم شرط
- “كنت مولاهُ” → جملة فعلية
- الجواب: “فهذا حيدرٌ”

وهذا الربط بين الشرط والجواب يمثل إعادة إنتاج للخطاب النبوي داخل النص الشعري.

أما:

- “هذا” → اسم إشارة يفيد التعيين
- “حيدر” → بدل أو خبر

ثم:

- “مولى لكل السائرين” → خبر ثانٍ
- “وسيد” → عطف يضيف بعداً دلاليًا

وهذا التعدد في الأخبار يعكس تعدد أبعاد الشخصية الإمامية:

- الولاية
- القيادة
- السيادة

وهو ما ينسجم مع التصور العقدي للإمامة (الطبري، 1998، ج4، ص437)

حادي عشر: البنية الاستدلالية وبناء الحجاج العقدي عبر التراكيب المركبة

ما كان يومًا عابرًا كي ينتهي
كان امتحانًا .. موقفًا يتجدد

يقوم هذا المقطع على بنية نفي واستدراك، تبدأ بالفعل الناقص “ما كان”، وهو من أدوات النفي التي تفيد نفي الثبوت في الماضي، مما ينفي عن “يوم الغدير” صفة العبور أو الانتهاء. ومن الناحية النحوية، فإن تركيب “ما كان + خبر” يفيد تأكيد النفي، بخلاف “لم يكن” التي تدل على النفي المجرد (ابن هشام، 1998، ص143).

أما شبه الجملة “يومًا عابرًا” فجاءت حالًا منصوبة، وهو ما يعزز دلالة النفي، إذ لا ينفي الشاعر مجرد كونه يومًا، بل ينفي حاله بوصفه عابرًا.

وفي الشطر الثاني، تتحول البنية إلى جملة اسمية مقدّرة:

- “كان امتحانًا”
- “(وكان) موقفًا يتجدد”

وهذا التكرار للفعل “كان” مع حذف الثاني يمثل نوعًا من الحذف الاقتصادي الذي يحقق التماسك النصي (cohesion)، وهو ما أشار إليه النحاة بوصفه حذفًا لدليل السياق (ابن جني، دت، ج2، ص210).

أما الفعل المضارع “يتجدّد”، فقد جاء ليقابل النفي السابق، فيؤسس دلالة محورية:

الغدير ليس حدثاً تاريخياً منتهياً، بل موقفاً متجدداً.

وهذا التحول من النفي إلى الإثبات عبر البنية النحوية يعكس انتقال الخطاب من التقرير إلى الحجاج.

ثاني عشر: التقديم والتأخير وبناء سلطة العقل في الخطاب الإمامي

والعقلُ قبل النص يحكمُ عارفاً
أنّ العقيدة بالنهي تتقعدُ

يمثل هذا المقطع انتقالاً إلى مستوى حجاجي أكثر وضوحاً، حيث يستند الشاعر إلى “العقل” بوصفه أداة إدراك أولى.

نحوياً:

- “العقل” → مبتدأ
- “يحكم” → خبر فعلي

غير أن اللافِت هو تقديم شبه الجملة “قبل النص”، وهو تقديم يفيد:

- الأولوية
- والتخصيص

أي أن العقل له أسبقية في الإدراك، وهو ما يعكس اتجاهاً كلامياً يوازن بين العقل والنقل (الرجاني، د.ت، ص89).

أما الجملة الثانية:

- “أنّ العقيدة بالنهي تتقعد”

فهي جملة مؤكدة بـ “أنّ”، تفيد التوكيد، حيث:

- “العقيدة” → اسم أن
- “تتقعد” → فعل مضارع

وهذا الفعل يحمل دلالة الرسوخ والتأسيس، أي أن العقيدة لا تقوم على العاطفة، بل على “النهي” (العقول).

ومن الناحية الدلالية، فإن هذا التركيب يعزز مشروعية الإمامة من منظور عقلي، لا مجرد نقل تاريخي.

ثالث عشر: البنية الشرطية المنطقية وإثبات ضرورة الإمامة

لم تكتملْ هذي الرسالة، إنّما

لا بدّ يتلوها إمامٌ منجدٌ

يبدأ هذا المقطع بنفي: "لم تكتمل"، وهو نفي جازم، يفيد عدم تحقق الكمال في الماضي.

نحوياً:

- "لم" → حرف نفي وجزم
- "تكتمل" → فعل مضارع مجزوم

أما الجملة الثانية:

- "لا بدّ يتلوها إمام"

- فهي جملة تقريرية تفيد الوجوب، حيث:

- "لا بدّ" → تركيب يفيد الإلزام
- "إمام" → فاعل مؤخر

وهنا نلاحظ تقديم شبه الجملة "يتلوها" على الفاعل، مما يفيد إبراز الفعل (المتتابع) قبل الفاعل (الإمام)، وهو ما يعزز دلالة الوظيفة قبل الذات.

ومن الناحية الدلالية، فإن هذا التركيب يمثل قياساً منطقيّاً:

- الرسالة تحتاج إلى استمرار
- الاستمرار يتحقق عبر الإمام

وهو بناء حجاجي يتكئ على البنية النحوية.

رابع عشر: التوازي التركيبي وبناء التسلسل (الله → النبي → الإمام)

فالدرب يرسمه الإله لعبده
ويبلغُ الدربَ النبيُّ ويرشدُ

يقوم هذا المقطع على توازٍ تركيبِي واضح:

- يرسمه الإله
- يبلغُ الدربَ النبيُّ
- يرشدُ

وهذا التوازي يعكس تسلسلاً وظيفياً

الفاعل	الفعل	الوظيفة
الله	يرسم	التشريع
النبي	يبليغ	التبليغ
(الإمام ضمناً)	يرشد	الاستمرا

نحوياً:

- تقديم المفعول "الدرب" في الشطر الثاني → يفيد العناية به
- حذف الفاعل في "يرشد" → يفيد العموم، لكنه دلاليًا يحيل إلى الإمام

وهذا الحذف من أبرز آليات التكتيف الدلالي (ابن يعيش، د.ت، ج3، ص45).

خامس عشر: التكرار الشرطي وبناء نظام الرقابة والهداية

فإذا مشى كانت هناك رقابة
تحميه إن ضل السرى وتسدد
وإذا تعثر بالمسير تعيده
وتفتح الأبواب ساعة توصل

يقوم هذا المقطع على تكرار أداة الشرط "إذا"، وهو ما يفيد التكرار والاستمرارية.

نحوياً:

- "إذا" → ظرف لما يستقبل من الزمان
- "كانت هناك رقابة" → جملة جواب الشرط

كما أن:

- "تحميه، تسدد، تعيده، تفتح" → أفعال مضارعة
- تفيد الاستمرارية

وهذا التكرار ينتج نظاماً دلاليًا قائماً على:

المراقبة المستمرة للإمامة في كل حالات الإنسان (السير، الضلال، التعثر).

سادس عشر: التكثيف الاسمي وبناء الألفية

هذي الإمامة نعمةً أزليةً
وسناؤها لا ينتهي أو يخمد
يعود الشاعر هنا إلى الجملة الاسمية:

● “الإمامة نعمة أزلية”

وهذا التركيب يفيد الثبات.

كما أن:

- “أزلية” → صفة تفيد عدم البداية
- “لا ينتهي” → نفي الاستقبال
- “لا يخمد” → نفي الانطفاء

وهذا التكرار في النفي يعزز دلالة الدوام المطلق.

سابع عشر: البنية الاستفهامية الحجاجية

فعلام يستدعي المتية معانئ
ليصون جمعاً حوله قد أرددوا
وعلام يشدُّ صوته وحسامه
لأخ تتمرّ في هُداة المشهد

يمثل هذا المقطع تحولاً إلى الخطاب الجدلي، حيث يستخدم الشاعر الاستفهام الإنكاري.

نحوياً:

- “علام” → اسم استفهام
- الجملة بعدها فعلية
- والاستفهام هنا لا يطلب جواباً، بل ينكر الفعل.

وهذا الأسلوب من أبرز أدوات الحجاج في العربية (الرجاني، دت، ص112).

ثامن عشر: البنية السياسية والانزياح الدلالي

ومن البلية أن يعيش بظله
(متأمرك) في طبعه (متهود)

هنا يستخدم الشاعر جملة مصدرية:

- "أن يعيش" → مصدر مؤول

واللافت إدخال ألفاظ:

- "متأمرک"
- "متهود"

وهي ألفاظ حديثة، تم إدماجها في بنية فصيحة، وهو ما يمثل انزياحاً أسلوبياً يعكس توظيف المعجم السياسي داخل الخطاب الشعري.

تاسع عشر: التصعيد الدلالي وبناء خطاب المقاومة

لكنّ فتیان المروءة ههنا
صاغوا البطولة للأنام وقعدوا
فمتى يحسّ الظالمون بأننا
قومٌ نرى لاءِ اتنا تستأسدُ
وحشودنا تأبى الهوانَ وأتّنا
في دوحة العلياء لا نترددُ

يمثل هذا المطلع نقطة تحوّل نوعية في بنية الخطاب، إذ ينتقل من التأسيس العقدي إلى التعبئة الجماعية، ويتجلى ذلك نحوياً عبر تصدير الجملة بالمبتدأ "حشودنا"، وهو تركيب إضافي يفيد الامتلاك والانتماء، ويؤسس لهوية جماعية واعية بذاتها. وقد اقترن هذا المبتدأ بالفعل المضارع "تأبى"، الذي يفيد الامتناع المبدئي، لا الرفض العابر، بما يحمل من دلالة أخلاقية تتصل بالكرامة والاعتداد (ابن فارس، دت، ص 61).

أما المفعول به "الهوان" فجاء معرفاً بـ(أل)، للدلالة على العموم، أي رفض كل أشكال الذل، وهو ما يعمّق البعد المقاوم في الخطاب. ثم تتعرّز هذه الدلالة عبر الجملة المؤكدة بـ "أنا"، التي تمثل انتقالاً من الفعل إلى التقرير الهوياتي، حيث يصبح الثبات صفة ذاتية لا ظرفية.

ومن الناحية النحوية، فإن تقديم شبه الجملة "في دوحة العلياء" على الفعل "لا نتردد" يفيد التخصيص، أي أن عدم التردد نابع من الانتماء إلى منظومة القيم العليا، لا من ظرف خارجي، وهو ما يجعل الخطاب يتجاوز الفعل إلى المرجعية القيمية (ابن هشام، 1998، ص 56). كما أن النفي بـ "لا" في الفعل المضارع يفيد الاستمرار، فيتحول الثبات إلى حالة دائمة.

بناء المرجعية القيادية وتصعيد المعنى عبر التركيب الموصولي

من سيد النصر الذي في بأسه
رُسمت شهادة أمة تتوعّد

يستأنف الشاعر التصعيد الدلالي عبر تركيب يحتمل الاستفهام البلاغي أو التقرير الضمني، في "من سيد النصر"، وهو أسلوب يُستخدم لإثارة الذهن وتوجيهه نحو شخصية محددة دون التصريح بها، مما يفتح المجال أمام التأويل ويعزز البعد الرمزي. نحوياً، يفيد التركيب الإضافي "سيد النصر" التخصيص والتفرد، حيث يُعرّف القائد لا بوصفه فرداً، بل بوصفه مبدأً للنصر. ثم يأتي الاسم الموصول "الذي" ليربط بين الذات والصفة، في بنية تفسيرية تتكامل فيها الدلالة مع التركيب. أما الجملة:

“ في بآسه رُسمت شهادة أمة”

فقد شهدت تقديم شبه الجملة “في بآسه”، وهو تقديم يفيد القصر، أي أن الشهادة قد تحققت ضمن إطار القوة والبأس، لا في سياق الضعف. كما أن الفعل “رُسمت” جاء مبنياً للمجهول، وهو اختيار نحوي يهدف إلى تعظيم الحدث ذاته، بإزاحة الفاعل والتركيز على النتيجة، وهو ما يُستخدم في السياقات التي يكون فيها الحدث أبلغ من فاعله (ابن جني، دبت، ج2، ص210). ويأتي التركيب الإضافي “شهادة أمة” ليحوّل الشهادة من فعل فردي إلى ظاهرة جماعية، ثم يُعزّز ذلك بالفعل المضارع “تتوعد”، الذي ينقل الأمة من موقع التضحية إلى موقع الفعل والتهديد، في تحوّل دلالي من السلبية إلى الإيجابية، ومن الاستشهاد إلى المقاومة الفاعلة.

الزمن المستقبلي وبناء أفق النصر في الخطاب المقاوم

وغداً يجيء بنصرنا وهتافنا

يعلو بنصر الله إن جاء الغد

يبلغ التصعيد الدلالي ذروته في هذا المقطع، حيث يتجه الخطاب نحو استشراف المستقبل، عبر الظرف الزمني “غداً”، الذي يفيد القرب النسبي، ويؤسس لأفق زمني واعد.

نحوياً، جاء الفعل المضارع “يجيء” ليدل على تحقق الحدث في الزمن القريب، وقد اقترن بالجار والمجرور “بنصرنا”، الذي يفيد الاختصاص، فيتحوّل النصر إلى ملكية جماعية، لا حدث خارجي.

ثم تأتي الجملة:

“ وهتافنا يعلو”

في تركيب يجمع بين:

•الاسمية (هتافنا) → الثبات

•والفعلية (يعلو) → الحركة

وهو تداخل نحوي يعكس ثبات المبدأ واستمرارية التعبير عنه.

أما الجملة الشرطية:

“ إن جاء الغد”

فتمثل ذروة التوتر الدلالي، إذ تُدخل عنصر الاحتمال في سياق اليقين، مما يخلق بنية مزدوجة:

•يقين داخلي: “غداً يجيء”

•شرط خارجي: “إن جاء الغد”

وهذا التوتر يعكس طبيعة الخطاب المقاوم، الذي يجمع بين الإيمان بالنصر والعمل لتحقيقه، فلا يكتفي باليقين، بل يربطه بالفعل.

كما أن إضافة النصر إلى الله في “بنصر الله” تعيد الخطاب إلى مرجعيته العقدية، فيتحقق التوازن بين:

•الفعل البشري (حشودنا، هتافنا)

•والإسناد الإلهي (نصر الله)

نتائج البحث

تكشف الدراسة، من خلال التحليل النحوي الدلالي لقصيدة “ضوءٌ عليّ”، عن مجموعة من النتائج التي يمكن عدّها إسهاماً في فهم طبيعة الخطاب الإمامي في الشعر المعاصر، ومن أبرزها:

أولاً، تبين أن الشاعر اعتمد الجملة الاسمية بوصفها بنية مركزية في تشكيل الخطاب، لما تحمله من دلالة الثبوت والاستمرار، وهو ما يتلاءم مع طبيعة المفهوم الإمامي بوصفه مفهوماً عقدياً قائماً على الرسوخ والدوام، كما في قوله: “ضوءٌ عليّ”، و“هذه الإمامة نعمة أزلية”، حيث تتحول البنية النحوية إلى أداة لتكريس الأزلية الدلالية (تمام حسان، 2000، ص97).

ثانياً، أظهر التحليل أن التقديم والتأخير لم يكن مجرد ظاهرة شكلية، بل كان آلية دلالية لإبراز العناصر المركزية في الخطاب، إذ قُدمت شبه الجمل أو المفاعيل لإحداث تركيز دلالي، كما في “وبه الهداية”، و“في يديه محمد”، وهو ما ينسجم مع ما قرره النحاة من أن التقديم يفيد الاختصاص والعناية (ابن هشام، 1998، ص56).

ثالثاً، برزت ظاهرة الحذف بوصفها أداة تكثيف دلالي، إذ اعتمد الشاعر على حذف عناصر نحوية يفهم معناها من السياق، مما يفتح المجال أمام التأويل، ويُشرك المتلقي في إنتاج المعنى، كما في حذف الفاعل في بعض المواضع، أو حذف الأفعال المتكررة، وهو ما يعد من سمات الاقتصاد اللغوي في الأسلوب العربي (ابن جني، د.ت، ج2، ص210).

رابعاً، كشفت الدراسة عن توظيف مكثف لـ الأفعال المضارعة، التي جاءت لتؤدي وظيفة دلالية تتمثل في إبراز الاستمرارية والتجدد، وهو ما يتوافق مع الرؤية الإمامية التي ترى في الإمامة امتداداً دائماً دائماً للهداية، كما في "يجري"، "يُخلد"، "تمتد"، "تحنو"، وهي أفعال تخلق زمناً مفتوحاً يتجاوز اللحظة التاريخية.

خامساً، تبين أن الشاعر اعتمد البنى الشرطية (الصريحة والضمنية) بوصفها أداة لتنظيم العلاقة بين الواقع والنتيجة، كما في "كلما ضاق الزمان... ليضوع عطر"، و"إذا تعثر... تعيده"، مما يعكس تصوراً عقدياً قائماً على أن الإمامة تمثل الاستجابة المستمرة لأزمات الإنسان.

سادساً، أظهر التحليل أن الخطاب الإمامي في القصيدة يقوم على بنية حجاجية واضحة، تتجلى في استخدام النفي، والاستفهام الإنكاري، والتقرير، كما في "ما كان يوماً عابراً"، و"فعلام يستدعي..."، حيث تتحول البنية النحوية إلى وسيلة لإقناع المتلقي، لا مجرد وصف.

سابعاً، برزت ظاهرة التوازي التركيبي بوصفها عنصراً أسلوبياً يعزز التماسك النصي، ويخلق إيقاعاً دلاليًا، كما في "يقيهم... ويظل يحرسهم"، و"تحميه... تسدد... تعيده... تفتح"، وهو ما ينسجم مع ما أشار إليه البلاغيون من أن التوازي يسهم في تثبيت المعنى في الذهن (الجرجاني، د.ت، ص112).

ثامناً، كشفت الدراسة عن أن الشاعر يوظف البنية النحوية لإنتاج نسق دلالي قائم على الترابط الثلاثي (الله – النبي – الإمام)، حيث تتكامل الوظائف:

- التشريع (الإله)
- التبليغ (النبي)
- الاستمرار (الإمام)

وهو ما يتجلى نحويًا في تتابع الأفعال وتوزيع الفاعلين.

تاسعاً، أظهرت الدراسة أن الخطاب الإمامي في القصيدة لا يقوم على التقرير المباشر، بل على شبكة رمزية تتداخل مع البنية النحوية، حيث تتحول مفردات مثل "الضوء"، "النبع"، "الطريق"، "العطر" إلى حوامل دلالية تعكس مفاهيم الهداية والولاية.

عاشرًا، تبين أن الشاعر استطاع إدماج المعجم المعاصر (السياسي) داخل البنية الفصيحة، كما في "متأمر، متهود"، دون أن يخل ذلك بالبنية النحوية، بل أضاف بعداً دلاليًا يعكس امتداد الخطاب الإمامي إلى الواقع المعاصر.

الخاتمة

يمكن القول إن قصيدة "ضوء علي" تمثل نموذجاً متقدماً للخطاب الإمامي في الشعر العربي المعاصر، حيث استطاع الشاعر مهند جمال الدين أن يبني نصاً شعرياً متكامل فيه البنية النحوية مع الدلالة العقدية، بحيث تغدو التراكيب اللغوية أدوات فاعلة في إنتاج المعنى، لا مجرد أوعية شكلية له.

وقد كشفت الدراسة أن النحو في هذا النص لا يؤدي وظيفة تنظيمية فحسب، بل يضطلع بدور دلالي محوري، إذ يسهم في تثبيت المفاهيم، وتوجيه التأويل، وبناء الحجاج، وهو ما يؤكد أن الفصل بين النحو والدلالة فصلٌ إجرائي لا يعكس طبيعة اللغة في استعمالها الفني.

كما تبين أن الخطاب الإمامي في القصيدة يقوم على مبدأ الاستمرارية، حيث لا يُقدّم الإمام بوصفه شخصية تاريخية منتهية، بل بوصفه حضوراً دائماً في الوعي والواقع، وهو ما انعكس نحويًا في كثافة الأفعال المضارعة، والبنى الاسمية، والتراكيب الشرطية.

ومن جهة أخرى، أظهر التحليل أن الشاعر نجح في تحقيق توازن دقيق بين البعد العقدي والبعد الجمالي، إذ لم يقع في المباشرة أو التقرير، بل اعتمد الرمز، والانزياح، والتكثيف، مما منح النص طاقة إيحائية عالية.

ويمكن أن تُعد هذه الدراسة مدخلاً لبحوث لاحقة تتناول:

- الخطاب الإمامي في الشعر العربي المعاصر من منظور تداولي
- أو دراسة مقارنة بين الشعر الإمامي القديم والحديث
- أو تحليل الأساليب البلاغية في شعر مهند جمال الدين بما يسهم في تعميق فهم هذا الحقل المعرفي

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن جني، أ. ف. ع. (د.ت). الخصائص (تحقيق محمد علي النجار). دار الهدى.
2. ابن خلدون، ع. ب. م. (2004). المقدمة. دار الفكر.
3. ابن فارس، أ. ب. ف. (د.ت). الصحاح في فقه اللغة (تحقيق أحمد صقر). دار المعارف.
4. ابن هشام، ع. ب. ع. (1998). مغني اللبيب عن كتب الأعراب (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد). دار الفكر.
5. ابن يعيش، م. ب. ي. (د.ت). شرح المفصل. دار الكتب العلمية.
6. الجرجاني، ع. ق. (د.ت). دلائل الإعجاز (تحقيق محمود شاكر). دار المدني.
7. الزمخشري، م. ع. (د.ت). الكشف عن حقائق التنزيل. دار المعرفة.
8. السكاكي، ي. ب. أ. (د.ت). مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية.
9. السامرائي، ف. ص. (2003). معاني النحو. دار الفكر.
10. الطبري، م. ب. ج. (1998). تاريخ الرسل والملوك. دار المعارف.
11. عبد التواب، ر. (1980). تطور اللغة العربية. مكتبة الخانجي.
12. ضيف، ش. (1987). العصر الإسلامي. دار المعارف.
13. حسان، ت. (2000). اللغة العربية معناها ومبناها. عالم الكتب.
14. مطلوب، أ. (1990). في النحو العربي. وزارة التعليم العالي.
15. جمال الدين، م. (2023). قصائدي. دار المحجة البيضاء.